العلة المنتشرة بين وثني العصر تجعل المتحجر يفقد القدرة على التفكير والتعبير
2

وتتابع السيد نعمان كامل في مقاله في "نضال الشعب "من حيث تركناه في العدد السابق من الى الأمام، فنجده " مندفعا "الى القاء محفوظاته من العبارات الجاهزة " الحكيمة " يبني بها ما شاءت له الصدف أن يبنيه من "المعاني". يقول هذا السيد:

".. لقد ألمح كاتب المقالات - أي نحن - أن البلدان الاشتراكية التي حدثت فيها ثورات اشتراكية وخصوصا الاتحاد السوفياتي ما تزال في مرحلة الانتقال وعليها أن تراوح في نطاق هذه المرحلة.. وكذلك يرى الكاتب أنه من الواجب عدم تراكم البناء في الداخل، بل العمل على ازالة النظام الرأسمالي.. طبعا من البلدان الأخرى.. الى آخر هذه المفاهيم "..

وقد بينا في مقالنا السابق التزويرفي الجزء الأول من العبارة السابقة واليوم نجد في الجزء الثاني من هذه العبارة أن هذا السيد " الكامل "يلح في التزوير فينسب الينا القول بترك العمل على زيادة تراكم البناء في داخل البلاد الاشتراكية و "خصوصا في الاتحاد السوفياتي " في المرحلة الراهنة مع أننا، في هذه المرة أيضا، قلنا بكل وضوح في أكثر من مكان من بحثنا عكس ما يدعيه علينا هذا الكاتب. اننا قلنا في العدد 116من الى الأمام بتاريخ 15 تشرين الأول 1967 ما يلي:

"... فتطور البلاد الاشتراكية بزيادة نموها الاقتصادي وزيادة قواها الدفاعية أمر أساسي في حفظ خط التحول العام نحو الجملة الانسانية الاشتراكية..."

وقلنا في العدد118 من الى الأمام بتاريخ 29 تشرين الأول 1967 في مقالنا تحت عنوان "السلم والحرب" ما يلي :

".. كما أن البلاد الاشتراكية تنشط في دعم نضال الشعوب النامية ومساعدتها وفي دعم حركات التقدم الأخرى في العالم الا أن مهامها الأساسية (التأكيد نضعه الآن للتنبيه) هي أن تنشط في تطوير اقتصادها وقواها العسكرية وأن تقف على رأس قوى التقدم في العالم لصيانة ظروف التحول الى الاشتراكية."

وعلى هذا التزوير الفاضح بنى السيد نعمان كامل في "نضال الشعب" قرارا يتهمنا فيه بالتروتسكية، وذلك بعبارات جاهزة نعطي نماذج منها فيما يلي:

"ما أشبه البارحة باليوم، أليست هذه الأفكار تكرارا لتلك الأفكار التي دحضها لينين..؟ لقد طرحت مثل هذه الأفكار.. من قبل تروتسكي وأضرابه...ولكن التروتسكية هزمت في جميع الميادين.. ولكن الثورة الاشتراكية بقيت وفقا لما كان قد برهنه لينين سابقا من أن التطور المتفاوت للبلدان الرأسمالية في عهد الاستعمار (الامبريالية) يجعل من الممكن انتصار الثورة الاشتراكية.. وهنا أيضا هزمت التروتسكية في جميع الميادين. . "نعم ياسيد نعمان كامل، اننا قي هذه المرة مع عباراتك الجاهزة التي ترد بها على قول قلته أنت ونسبته الينا كذبا. ان التروتسكية ستهزم شر هزيمة. بل انها تهزم كل يوم وكل ساعة،" فالحياة تدحضها على الدوام "حسب تعبيرك"المحفوظ "ألا ترى أيها السيد أنت وجماعتك في "نضال الشعب " الانتصارات العظيمة التي يسجلها شعب الفيتنام على المستعمرين الأميركان؟ ألم تسمع بالذل الذي أصاب هؤلاء المستعمرين عندما تحداهم الشعب الكوري البطل وأسر سفينتهم التي أرسلوها للتجسس على هذا الشعب وعلى الشعبين الصيني والسوفياتي في شرقي آسيا؟ ألم تدرك بعد، أنت وجماعتك في " نضال الشعب "أن كفاح الشعوب التي ما انفك الاستعمار يذيقها ألوان العذاب والهوان هو الذي يبعد أخطار الحرب النووية المدمرة، بينما الاستسلام والتسليم للمستعمرين يقرب هذه الأخطار بشكل أكيد: ألم يعطك التاريخ أنت وجماعتك من"نضال الشعب" بأمثلته التي لاتحصى والتي آخرها مثال هتلر من جهة ومثال الكفاح المستمر الذي تخوضه الشعوب المقهورة ضد الاستعمار الحديث والذي يتراوح بين مختلف الأشكال: من حمل السلاح وقتل المستعمرين به في كوريا والفيتنام والجزائر والسويس الى تحطيم عروش العملاء كما حدث في عراق 14 تموز؟ فهتلر جر العالم الى الحرب العالمية الثانية عندما استسلم له خونة شعوبهم ورضخوا لتهديداته المتكررة حتى أوصلهم الى قعر هاوية الذل والهوان عندما أملى عليهم اتفاقية ميونيخ التي تشبه تماما المشروع البريطاني

الذي ما برحتم تدافعون عنه وتزينون قباحته وتسترون عوراته. أما كفاح الشعوب على أنواعه ضد المستعمرين الهمج فانه حتى الآن وسيبقى سببا في اضعاف المستعمرين وفي مضاعفة تناقضاتهم وفي تصعيد أزماتهم ومشاكلهم، وهكذا حتى تدق ساعتهم ويلقى بهم غير مأسوف عليهم في مزابل التاريخ. وبهذا ومع كل ماتمتلكه قوى التقدم والاشتراكية من الوسائل الجبارة التي من جملتها الصواريخ والأسلحة النووية لن يكون لدى هؤلاء المستعمرين في سيرتهم المخزية نحو نهايتهم المحتومة أية لحظة يتفرغون فيها للضغط على زناد السلاح النووي. نعم أيها السيد نعمان كامل وأيها السادة في" نضال الشعب " بهذه الصورة " تكذب الحياة " التروتسكية التي تتجاهل القانون اللينيني الذي ذكرتموه في مقالكم، قانون "النمو المتفاوت" للبلدان الرأسمالية، وتتجاهل ما ينتج عن هذا القانون من وجوب كسر السلسلة الرأسمالية من أضعف حلقاتها، حلقة، حلقة. ومن قبل أصحاب هذه الحلقة لا من قبل الغرباء عنها.. وأين الحلقات الضعيفة اليوم في عالم الاستعمار الحديث؟ أليست هي البلدان النامية التي يستغلها الاستعمار شر استغلال الا أنها في غليان ثوري يتصاعد بدون توقف للتحررنهائيا من كل ارتباط بالرأسمالية؟ أفلا يكون التروتسكي هو الذي يحتقر امكانات هذا العالم الثائر المتعطش للتحرير، وبالتالي لا يؤمن في أعماقه بجدوى نضال البلد النامي للانفصال عن شبكة الرأسمالية العالمية نهائيا والالتحاق بشبكة الاشتراكية العالمية؟ نعم انه هو أيها السادة في "نضال الشعب "، وهو يلتقي مع أخيه البكر الكاوتسكي عندما ينصح بقبول مشاريع الاستعمار كالمشروع البريطاني، ويصفق لكتب خروشوف الداعية للاستسلام تحت شعار حفظ السلام، ويهمس في آذان الناس بأن الاشتراكية واقعة ما دام الاتحاد السوفياتي سيسبق الولايات المتحدة عما قريب في جميع مجالات الانتاج، فلا جدوى من "تعكير السلام العالمي" باعلان الكفاح المسلح ضد قواعد الاستعمار التي من جملتها اسرائيل!..

وتستمر "نضال الشعب " بمقالها بقلم السيد نعمان كامل فنجد فيما بقي من هذا المقال تكرارا للأخطاء الأيديولوجية والتزوير والكذب مما كنا رددنا عليه في مقالنا السابق في "الى الأمام" وفي هذا المقال الحالي فلا نعود لذلك اليه كرة أخرى للرد عليه، الى أن تصل هذه الجريدة الى ما يلي:

"أما قول الكاتب بأن وجود البلدان الرأسمالية يؤثر على البلدان الاشتراكية ويمنع أن تسود فيها كل القوانين التي تعود الى المجتمع الاشتراكي (والتي لم يحدثنا الكاتب عن أي من هذه القوانين وعما لايسود منها حسب تأكيده) فهو قول يخلط بين أمرين مختلفين تماما: فتطبيق قوانين الاشتراكية شيء، وضرورة تكريس قسم من انتاج المجتمع الاشتراكي مثلا للدفاع الوطني لمجابهة أي خطر عدوان رأسمالي من الخارج هو شيء آخر تماما. فهل تكريس قسم من انتاج المجتمع لمجابهة العدو الخارجي أو لمساعدة الأصدقاء والبلدان المتحررة في الخارج، معناه هو أن قوانين الاشتراكية لاتطبقه؟.."

ولنبدأ بالجزء الأول من العبارة السابقة فنقول أننا في مقالنا السابق رددنا على ناحية من هذا الجزء وهي المتعلقة بسيادة القوانين في النظام الاشتراكي فبينا بما فيه الكفاية على أن بعض الخواص والقوانين والعيوب التي تسود في المجتمع الرأسمالي تبقى في المجتمع الاشتراكي، وذلك استنادا الى قانون ماركسي هو: ان خواص الطور الجديد وأبعاده في المادة لا تتم عند حدوث الانقلاب الكيفي. واليوم نترك الآستاذ نعمان كامل يرد على نفسه بنفسه فيما يخص هذا الجزء من عبارته، فنجده يقول العبارة التالية في مقاله، قبل نحو عشرين سطرا من بدء هذاالجزء:

".. وعمت علاقات الانتاج الاشتراكية في هذه البلاد (يعني الاتحاد السوفياتي، وشملت سائر القطاعات دون استثناء، وهي تتطور باستمرار وتزداد نضوجا يوما بعد يوم. ."

نعم يا "نضال الشعب" ويا سيد نعمان كامل، ان علاقات الانتاج الاشتراكية تتطور و باستمرار لأنها بحاجة الى الاستمرار بالتطور، وتزداد نضوجا يوما بعد يوم لأنها بحاجة الى النضوج كل يوم، فهي لاتتم ولا تتم معها كل قوانينها من اليوم الأول لوقوعها. أما عندما تتم هي والقوانين التي تبنى عليها، فان هذا يعني أن دورها بأجمعه قد آذن بالانتهاء، ولن يكون عندئذ أي معنى لجمود الحياة عند هذا التمام، ولا بد عندئذ من أن تظهر تباشير الطور الأعلى الذي هو المرحلة العليا من الشيوعية. وان لينين قد تنبأ بانتهاء الطور الرأسمالي استنادا الى هذه الحقيقة بالذات، وهي أن: تمام الشيء يؤذن بانتهائه. فوصف عهد الاحتكار العالمي بجملته الشهيرة التي جعلها عنوانا لكتابه في هذا الموضوع "الاستعمار المرحلة العليا للرأسمالية" وتنبأ بحتمية قرب وقوع الانقلاب الكيفي، وقوع ثورة أكتوبر، وهذه الحقيقة قالها العرب منذ زمن بعيد: " لكل شيء اذا ما تم نقصان "، الا أن جماعة

"نضال الشعب" تنزعج على ما يبدو من هذه الحقيقة البسيطة، فلا تتذكر الا السيد "الكامل" ليكتب لها المقالات، وهي لاتدري بأن كل هذا "الكمال" يوقعها في خطر الزوال. وعندئذ سوف يكون عزاؤنا أن الحياة ستثبت الجديد الأعلى.

ونغضي عن الحماقة المذكورة في مطلع عبارة هذا الكاتب والتي مآلها أنه لاتـأثير متقابـل بـين العـالمين الرأسـمالي والاشتراكي، ذلك لأن أطفالنا في المدارس الابتدائية يعرفون أن هذين العالمين يعيشان على كوكب واحد وبينهمـا كـل العلاقـات اللازمة للتفاعل. ولننتقل الى الجزء الأخير من العبارة حيث لا نجد جماعة " نضال الشعب " في ذات الحماس الذي كانوا فيه فـي مطلع مقالهم لقوانين الديالكتيك، الحماس الذي بينا قيمته في مقالنا السابق. يتساءل السيد نعمان كامل: " فهل تكريس قسم من انتاج المجتمع لمجابهة العدو الخارجي أو لمساعدة الأصدقاء والبلدان المتحررة في الخارج معناه أن قوانين الاشتراكية لا تطبعه؟ "

ولعل هذا السيد يريد أن يؤثر على عواطفنا بتذكيرنا بالعدو وأخطاره وبالأصدقاء والمتحـررين وضـرورة مـساعدتهم لينسيناكما نسي قانون تحول الكم الى كيف في مجمل عبارته التي كتبناها قبل هذا، القانون الذي يشكل واحدا مـن ثلاثـة قـوانين الديالكتيك والذي اتهمنا بعدم تطبيقه. وسبق ورددنا بما يناسب على هذا الاتهام. نعم ياسيد نعمان كامل ويا سادة في "نضال الشعب" ان " تكريس قسم ". ..غير بسيط. .. ويبلغ مقدار روبلين تقريبا من كل خمسة روبلات من انتاج الاتحاد السوفياتي للدفاع ومساعدة الأصدقاء والمتحررين يؤثر كل التأثير في التراكم فيؤخره، وبالتالي يؤخر وقوع كل التغيرات الكيفية المنتظرة هنا وهناك في البنية الاقتصادية السوفياتية، ويؤخر في النتيجة ساعة تمام كل خواص وأبعاد وقوانين هذا البلد الاشتراكي، ساعة اطلال المرحلة العليـا من الشيوعية من هذا البلد على العالم. ولولا هذا الواقع الذي لامناص منه لكان الاتحاد السوفياتي قد بلغ تلك المرحلة منذ زمن ليس قريبا، ولكان النظام الاشتراكي سائدا في كل بقعة من " ظهر هذه المعمورة " حسب تعبيركم.

ونتابع مع المقال:

" فاذا كان السيد البزري يعني أن ذلك معناه أن العامل لا يتلقى تماما حسب عمله (كما ينص المبدأ الاشتراكي) لأن، قسما من الانتاج يذهب الى أشياء تتطلبها صيانة المجتمع الاشتراكي، فهو كلام خاطئ، وفيه كثير مـن الـسذاجة. وحتـى لـو عمـت الاشتراكية العالم فان قسما من مردود العمل سيذهب رغم ذلك الى الأمور الاجتماعية العامة وسوف يستمر ذلك حتى يدخل المجتمع مرحلة النظام الشيوعي (أي المرحلة العليا للاشتراكية) "لقد سبق ورد الاستاذ نسيب نمر على التعبير الغريب في العبارة الـسابقة: "مرحلة النظام الشيوعي هي المرحلة العليا للاشتراكية " وبين خطورة هذا التعبير الذي جاءتنا به "نضال الشعب " والـذي يقلـب الأمور فيجعل من الاشتراكية مرحلة دائمة تتضمن المرحلتين الدنيا والعليا من الطور الذي يلي الرأسمالية، بـدلا مـن أن تكـون المرحلة الدنيا فقط للطور الشيوعي وتنتهي بكل عيوبها باطلال المرحلة العليا. واليوم نسأل القارئ أن يجد لنا صفة مناسـبة لهـذا الذي يضع في كفة واحدة في العبارة السابقة مصاريف الجيوش والمساعدات الخارجية وسد الثغرات الناشئة عن تخريب العدو الخ. . مع مصاريف "الأمور الاجتماعية العامة " التي لا بد من أن تتضمن: بناء المدارس والجامعـات ومؤسـسات البحـث العلمـي والمستشفيات وغيرها من المنافع العامة. أهو ساذج ومخطئ فقط هذا الذي يقول:

" فهل تكريس قسم من انتاج المجتمع لمجابهة العدو الخارجي أو لمساعدة الأصدقاء والبلدان المتحررة في الخارج، معنـاه أن قوانين الاشتراكية لاتطبعه؟.. كلام خاطئ وفيه كثير من السذاجة، لأنه حتى لو عمت الاشتراكية العالم فان قـسما مـن ردود العمل ستذهب الى الأمور الاجتماعية العامة.."

لو أن رجلا يصيح في أذن هذا الذي يضع نفسه معلما للطلائع التي تنيرها "نضال الشعب " ليقول لـه أن مـصاريف " الأمور الاجتماعية " تعود الى كل مواطن في هذا البلد بشكل خدمات لها تماما وزن الأجر الذي يتقاضاه هذا المواطن لقاء عمله، في الوقت الذي تعود فيه مصاريف الجيوش والمساعدات للأصدقاء والمتحررين في الخارج على رؤوس الأعداء عند اللـزوم والـى جيوب الأصدقاء والمتحررين، الا أنها على كل حال من جيوب أولئك المواطنين في ذلك البلد الاشتراكي!. .

وبهذا الشكل تنشر جريدة "نضال الشعب" "الثقافة " في الاقتصاد الاشتراكي بين المناضلين الذين يفرض فيهم أن يكونوا طلائع الشعب. وقد مر معنا ولمسنا قيمة هذه "الثقافة" في المجالات الأخرى: في المادية الديالكتيكية وفي المادية التاريخية...ظلمات لا حدود لها!.. وليس هذا فحسب فلدينا من الأسباب الوجيهة للاعتقاد بأن فهم هذا الكاتب لشعار المرحلة الاشتراكية : من كل حسب

كفاءته ولكل حسب عمله، لا يتناسب كثيرا مع "المتطلبات النظرية " لمهام الاشتراكيين في "نضال الشعب". فهذا الشعار لا يعني كما هو واضح لكل ملم بالأمور الاقتصادية أن الانسان في مجتمع اشتراكي يتقاضى لقاء عمله مقدارا من القيم يساوي هذا العمل. ذلك لأنه لو كان الأمر بهذا الشكل لما بقي من انتاج المجتمع شيء للتنمية و"الأمور العامة " والمساعدات والدفاع والكوارث على أنواعها الخ.. بعد اقتسام هذا الانتاج بين منتجيه بالشكل الآنف الذكر: حجم الانتاج يعادل حجم العمل الناشئ عن مجموع كل أعمال المنتجين بالاضافة الى حجم استهلاك وسائل الانتاج، وبالتالي لايبقى من هذا الحجم شيئا عندما يعوض استهلاك وسائل الانتاج ويأخذ كل منتج قيما تعادل عمله. وفي الواقع يوزع الانتاج في المجتمع الاشتراكي بعد أخذ كل القيم اللازمة لتعويض استهلاك الوسائل وللتنمية والنفع العام والدفاع وجهاز الدولة الاداري والمساعدات الخ.. من هذا الانتاج. وبالتالي لا يصيب الانسان في هذا المجتمع الا نصيبا يتناسب مع عمله ولا يعادله. ولهذه الأسباب كان شعار المرحلة الاشتراكية: لكل حسب (بنسبة) عمله. أما السيد نعمان كامل فقد وجد ان سبب هذا الشعار، كما هو واضح من عبارته هو فقط استمرار عملية " ذهاب قسم من مردود العمل الى الأمور الاجتماعية " وليس هذا "الذهاب" بذاته. أي أنه لو لم تكن هذه العملية مستمرة طيلة النظام الاشتراكي، لما كان الانسان ينال "حسب عمله "في هذا المجتمع حسب رأي هذا السيد!.. ولا نحاسبه على نسيانه في عبارته لضرورة ذهاب قسم من الانتاج لتعويض استهلاك وسائل الانتاج ولتحقيق التنمية، الأمر الحاسم في مجتمع اشتراكي. ثم انه يضيف الى الشعار الذي نحن بصدده كلمة: تماما، ويجعلها من "نص المبدأ الاشتراكي": "لايتلقى تماما حسب عمله (كما ينص المبدأ الاشتراكي).. كلام خاطئ وفيه كثير من السذاجة".. مع أن "المبدأ الاشتراكي" ما نص أبدا على هذه الكلمة لعدم لزومها الا للذين لايحسنون فهم كلمة: حسب، في الشعار المذكور، ويظنون أنها تعني كلمة: يعادل، فيفهمون الشعار: لكل حسب عمله، بمعنى: لكل بمقدار يعادل عمله. والبون شاسع بين المعنيين كما سبق لنا وأوضحنا.

وبعد، فموعدنا العدد القادم من "الى الأمام" ياسيد نعمان كامل ويا "نضال الشعب".